جامعة تكريت

كلية التربية الأساسية– الشرقاط

قسم اللغة الانكليزية– المرحلة الرابعة

سارتر

يعد سارتر من أعظم فلاسفة الوجودية، والوجودية حركة ثقافية انتشرت بين الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين، وقد ظهرت كرد فعل لتسلط الكنيسة وتحكمها في الإنسان بشكل متعسف باسم الدين.

والوجودية ليست حركة جديدة، بل جذورها ضاربة في القدم فعندما تحررت أوروبا من سلطة الكنيسة أصبح المفكر لا يخاف من نشر أفكاره؛ فاستغل البعض أجواء الحرية لنسف كل الحدود الدينية والتقاليد السارية في المجتمع. **وقد انقسمت الوجودية إلى اتجاهين متعارضين:**

1– الوجودية الدينية: هي التي تبدأ بتأملات (سورين كيركجارد) الدينية، و تضع الإنسان في علاقة مباشرة مع الله كما يفعل "كيركجارد" و"ياسبرز

2– الوجودية اللادينية: تبدأ بإعلان "نيتشه" عن موت الله ، وتترك الإنسان وحيدا منعزلا، ويمثل هذا الاتجاه نيتشه وهايدجر وسارتر

ويمكن أن نلخص سمات المذهب الوجودي في الآتي:

1– هي فلسفة عن (الذات) أكثر منها فلسفة عن (الموضوع)، أي أنها تبدأ من الإنسان لا من الطبيعة. فالذات عند الفيلسوف الوجودي هي الموجود في نطاق تواجدها الكامل، فهذا الموجود ليس ذاتياً مفكرة فحسب، وإنما هو الذات التي تأخذ المبادرة في الفعل وتكون مركزاً للشعور والوجدان. اتفق الوجوديون على وجوب الرجوع إلى الوجود الواقعي، والشعور بما تتصف به المذاهب القطعية الصارمة من الغرور، وقياس البعد بين التجريد النظري والتجربة الشخصية

2- يرفض الفكر الوجودي أي محاولة من شأنها حصر الحقيقة داخل تصورات عقلية، أو البحث عن الحقيقة ووضعها في إطار نسق محكم البنيان، أو في بناء منطقي ضروري، أو في مذهب مترابط الأركان؛ ذلك لأن ثمة أشياء فضفاضة تستعصى على كل حصر، وتفر من كل بناء، وتهرب من الخضوع لسلطة النسق وسلطان العقل.

3– لا تزال الوجودية بدون مذهب عام واحد ينتمي إليه جميع الفلاسفة، فوصفت بأنها ليست فلسفة بقدر ما هي أسلوب من التفلسف.

4 - الوجودية مذهب متفائل؛ لأنها تضع مصير الإنسان بين يديه " فتجعل الحياة الإنسانية ممكنة." هذه العبارة قالها "سارتر" في وصف مذهب الوجودية.

5- اعتبرت الوجودية العواطف والمشاعر والانفعالات التي تظهر في الذهن البشري شيئا مهما وأساسيا، واعتبرت أن هذه المواضيع بعينها هي ما يجعلنا نندمج بكياننا كله في العالم، وهي التي تتيح لنا تعلم أشياء لا نستطيع تعلمها عن طريق الملاحظة الموضوعية وحدها، وبذلك زودنا الوجوديون الثلاثة الكبار بتحليلات عميقة عن القلق والملل والغثيان، وبينوا لنا أنها حالات ذات مغزى فلسفي معين.

ذاعت الفلسفة الوجودية في مختلف الأوساط على يد الفيلسوف "جان بول سارتر" (١٩٠٥- ١٩٨٠) الذي كان له نصيب كبير في تكوين المذهب الوجودي الفلسفي، وبها نال شهرة كبيرة بوصفه من أعلام الوجودية. لقد أخذ عن "هايدجر" المعاني الرئيسة الكبرى في الوجودية، ثم صاغها صياغة رائعة جديدة فيها ما يدعو إلى اهتمام الكثيرين في صورة أدبية، و توصل إلى وجهات نظر جديدة قد تفوق "هايدجر" في تحليله لبعض المعاني الكبرى في الوجودية، و هذا ما سنقدمه في وجودية "سارتر" :

أسبقية الوجود عن الماهية:

كان المبدأ السائد في الفلسفة هو أن " الماهية تسبق الوجود" فقبل أن يوجد العالم كانت صورته أو فكرته في عقل الله، وقبل أن يوجد شيء تسبق وجوده فكرته عند صانعه، و من هنا كان يقال إن ثمة طبيعة للإنسان، و هذه الطبيعة الإنسانية وهي التصور الإنساني، توجد عند جميع الناس، أي أن كل فرد من الناس هو مثال جزئي لتصور كلي هو الإنسان.

والوجودية ترفض هذا الرأي وتقول: " الوجود يسبق الماهية" أي فيما يتصل بالإنسان. فعلى سبيل المثال: الإنسان يوجد أولاً ويصادف، ويثق في العالم، ثم يتحدد من بعد، فالإنسان في أول وجوده ليس شيئاً، ولا يمكن أن نحده بحده، وعلى ذلك فليس ثمة طبيعة إنسانية، بل الإنسان كما يتصور نفسه و كما يريد نفسه، وكما يدرك نفسه بعد أن يوجد، وكما يشاء هو بعد هذه الوثبة نحو الوجود، والإنسان يوجد أولاً غير محدد بصفة، ثم يلقي بنفسه في المستقبل، وذلك بالأفعال التي يؤديها، ولهذا فإن الإنسان هو أولاً مشروع وتصميم يحيا حياة ذاتية، ولا شئ يوجد قبل هذا المشروع، بل الإنسان هو الذي يصمم مستقبله، ثم يحقق من هذا التصميم ما يستطيع.

إن الوجود عند "سارتر" يملأ كل شيء ويغزو كل شيء، فعالم "سارتر " عالم متضخم دون أي حد أو سبب، و عن طريق "الغثيان" الذي يشعر به "سارتر" **نميز بين نوعين من الوجود :**

1- الوجود الإنساني: ويسميه (الوجود لذاته) وهو الموجود الذي يشعر بنفسه أنه قوة مريدة وفاعلة بشرط أن يكون مجرد تصور ذهني.

وهذا الوجود هو الذي يهب للأشياء قيمتها، وقبل أن يأتي الشعور إلى العالم كان هذا العالم فوضى مطلقة لا معنى لها، وهذا النوع من الوجود هو نقصان في الوجود، هذا النقصان لا وجود له في عالم الأشياء؛ ولهذا كان الوجود الإنساني محاولة دائبة ومجهوداً متصلاً لكي يكون ما يريد.

2- وجود الأشياء: ويسميه (الوجود – في – ذاته) وهذا الوجود في هوية دائماً مع نفسه، أي أنه هو نفسه دائماً، و ذلك لأنه يخلو من الشعور الذي يستطيع به الوجود الإنساني أن يصبح شيئاً آخر غير نفسه، وهذا الوجود عند "سارتر" وجود لا معنى له و لا سبب و لا علة، ولا ضرورة، و لا خالق يفسر وجوده وكلمة(في – ذاته) تعني معادلا أو مطابقاً لذاته، أي أنه لا يوجد لأجل ذاته مثل الكائن الواعي، بل هو مجرد قائم هناك، ولا شك فيه، وجامد، ومتكتل وكثيف، ولا يعتريه أي فراغ، ولا يحتمل أي مسافة بينه و بين ذاته، فهو ملاء مطلق خال من الوعي، وقد يشار إليه أحيانا بإغفال كلمة الوجود فنقول: " ال – في – ذاته". واستخدام كلمة شيء بمعنى الوجود أو الموجود.

الحرية والعدم في وجودية ســارتر

لقد شغلت فكرة الحرية حيزا كبيرا من مذهب "سارتر"، بل يمكن القول إن وجودية "سارتر" دارت كلها حول فكرة الحرية. و فكرة الحرية عند "سارتر" تختلف كل الاختلاف عن أية فكرة سابقة عن الحرية، فهي تعني لديه الوجود الإنساني بأسره، والأعجب من ذلك أنها تعني العدم يقول "سارتر" : "*إن الإنسان هو الموجود الذي من خلاله يأتي العدم إلى العالم.*
لكن هناك سؤال آخر: ماذا ينبغي أن يكون عليه الإنسان في وجوده من أجل أن يأتي العدم إلى الوجود من خلاله؟. لقد سعينا لمحاولة تحديد وجود الإنسان بقدر ما كان شرطاً لظهور العدم، وهذا الوجود يظهر لنا أنه حرية."(٢).

ويقول أيضاً: "*الحرية هي الموجود الإنساني*" من هنا نلاحظ أن ما قاله "سارتر" هو أن الحرية تقوم على العدم، بل هي هذا العدم نفسه؛ فالحرية في فلسفة "سارتر" قدرة من قدرات الروح أو ملكة يكتسبها الإنسان، و يمكننا أن نتناولها بعيدة عنه، و أن نصفها كشيء مستقل، وإنما هي في صميم وجوده، بحيث لايمكن تناولها دون أن ندرس الوجود الإنساني .

إن الوجود الإنساني هو الوجود الذي ينفذ عن طريق العدم إلى الأشياء، فهو شرط لازم لظهور العدم، وبالتالي فإن الحرية هي شرط لازم للعدم.إذن يربط "سارتر" من جهة بين الوجود الإنساني و العدم، من حيث إن الوجود لازم لإفراز العدم، و هو يربط من جهة ثانية بين الوجود الإنساني و الحرية ، من حيث إن الحرية هي في صميم الوجود تسبق الماهية الإنسانية. معنى ذلك أن الحرية في فلسفة "سارتر" مرتبطة بالعدم، من حيث هي شرط لازم لظهوره.

القلق والشعـــور بالحرية

يقول سارتر: يعتقد البعض أن من الممكن أن نواجه ما يعترضنا كثيراً: إن الشعور المعدم لايوجد إلا بوصفه شعوراً بالإعدام، ومن الممكن تعريف ووصف حالة ثابتة للشعور، حاضرة كشعور، وتكون بمثابة شعور بالإعدام. وهل يوجد هذا الشعور ؟ .... " ويعود "سارتر" ليجيب عن هذا التساؤل ويقول:" إن الحرية هي وجود الشعور، فهذا الشعور يجب أن يكون شعور الحرية" وفي الحرية يكون الوجود الإنساني ماضيه (كما يكون أيضاً مستقبله) في صورة (إعدام).
وبالتالي لابد أن يوجد لدى الموجود الإنساني– بوصفه شاعراً بالوجود – نوع من المواقف في مواجهة ماضيه ومستقبله... ومن ثم فإن القلق يشعر الإنسان بحريته، أوإن القلق حالة من وجود الحرية بوصفها شعوراً بالوجود، وفي القلق تكون الحرية في حال من التساؤل عن الذات."

إن الإنسان الحر عند "سارتر" لا يمكن أن يقوم بأي عمل إلا ويصاحبه بالضرورة الشعور بالقلق، فهو يصنع ذاته ويختار ذاته من غير أن يستمد عوناً من السماء أو الأرض، ولهذا فهو لا يختار ويدرك حريته في اختياره إلا وقد لازمه بالضرورة الشعور بالقلق.

إذن الشعور بالحرية قلق، والقلق في تركيبه الأساسي شعور بالحرية، فالإنسان ليس فقط حراً، ولكنه يستطيع أن يدرك حريته من خلال القلق، فالقلق هو الوسيلة التي توجد الحرية من خلالها، وبذلك يكون الإنسان مقسوراً – من حيث هو نشاط حر – على أن يكون حراً بصفة دائمة؛ إنه يمارس حريته في كل فعل وفي كل سلوك، ويحدد "سارتر": *"إنه مدان بأن يكون حراً."* ولكن هذه الحرية التي يدان بها الوجود البشري لا يعيها ولا يدركها إلا ويصاب بالقلق، فالقلق شعور مقترن بإدراك الوعي بحريته، وهذا هو ما يعنيه "سارتر.

الحرية في فلسفة "سارتر" ليست قدرة من قدرات الروح أو ملكة يكتسبها الإنسان...، وإنما هي في صميم وجود الإنسان، بحيث لا يمكن تناولها بدون الوجود الإنساني، وإذا كان الوجود الإنساني شرطاً لازماً لوجود العدم، فإن الحرية هي أيضاً شرط لازم للعدم، يقول سارتر: *"إن الحرية لا ماهية لها، ولا تخضع لأية ضرورة منطقية، وتصير فعلاً، ونبلغها عادة من* خلال الفعل الذي ننظمه من البواعث والدوافع والغايات التي يتضمنها الفعل، فالحرية هي الأساس في كل الماهيات، لأنه بتجاوز العالم إلى ممكناته الخاصة، يكشف الإنسان عن الماهيات داخل العالم، لكن الأمر يتعلق بحريتي أنا.

ومن ثم فإن ماهية الوجود الإنساني مرتبطة بحريته، وما يسمى حرية لا يمكن تمييزه عن وجود "الحقيقة الإنسانية " فالإنسان لا يوجد أولاً ليكون بعد ذلك حراً، وإنما ليس ثمة فرق بين وجود الإنسان و"وجوده حراً". يحدد "سارتر" أن الحرية هي قدرة الوعي على أن يفرز عدمه الخاص، كما أن الحرية هي قدرة الوعي على أن يقرر ذاته، ويتضح ذلك من خلال النظر في الوعي الإنساني من حيث إنه يفكر في ذاته وفيما عداه من الأشياء، فإن الوعي الإنساني يضع بذلك خارجه كل ما هو ليس إياه وعلى هذا الأساس يرى "سارتر" أن الكائن الواعي حر؛ لأن رفض الماضي وتجاوزه، و كون الإنسان متجاوزاً لذاته متجهاً نحو إمكانيات السلوك المستقبل و نحو ما يرسمه لنفسه إنما يعني أن الإنسان حر أو بالأحرى الإنسان هو الحرية، الحقيقة الإنسانية إذن هي الحرية الإنسانية – عند "سارتر" – هي هذا الرفض المستمر بحيث لا يستطيع الإنسان أن يقرر ما هو كائن ؛ لأنه بينما يحاول أن يتكلم، فإنما يتكلم عنه ينزلق إلى الماضي ويصبح ما كان وليس ما هو كائنه.

اعداد: م.م محمد راوي احمد